علاقة الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) بالبيزنطيين منذ البعثة حتى سرية مؤته (٨هـ/ ٦٢٩م)

الدكتور علاء ابو الحسن اسماعيل العلاق*

تاريخ قبول النشر ٢٠٠٥/٩/٢٦

ملخص البحث

يولي البحث اهتماما يسير بالاحداث التاريخية للدعوة الاسلامية ولاسيما خلال عصر النبوة ويوجه هذا البحث الدراسة حول علاقة الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم) بالروم وحلفائهم من عرب الشام ولاسيما في سنيين الدعوة الاولى والانتصارات التي حققها الاسلام على المشركين مما اثار انظار القوى الخارجية الى القوة الوليدة التي اصبح لها شأن وذات مؤكدة واصبحت واقعاً لايمكن انكارها او تجاهلها لذلك نجد ان عرب الشام حلفاء الروم حاولوا استخدام سلاح الحرب الاقتصادية ضد الاسلام وذلك حينمال تعرضوا لتجار الانباط الذين كانوا يتاجرون مع المدينة وهم يحملون لهم سلع العيش الضرورية كالدقيق والزيت وغير ذلك وقد رد الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم) بشن اول حملة اسلامية ضد بلاد الشام سنة (٥هـ) وهي الغزوة المعروفة بدومة الجندل والتي تعتبرها مصادرنا اولى غزوات الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ضد الروم.

وقد اختلفت هذه المرحلة عن المراحل اللاحقة في انها لم تكن فيها مواجهات مباشرة بين المسلمين والروم بل كانت المواجهات بين المسلمين وعرب الشام من لخم وجذام وكلب.

وبناء عليه فأن دومة الجندل تلك كانت قد حققت ثمارها واتت اكلها وحققت اهدافها التي رسمها لها الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وقد حقق روابط التآخي بين المجتمع الاسلامي ذات البعد الاستراتيجي لدولة الاسلام .

واخيرا فأن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) استمر اهتمامه بالقبائل الشمالية حتى بعد فتح مكة بل قبيل وفاته نجد انه يجرد بعثاً بقيادة اسامة بن زيد.

* مركز إحياء التراث العلمي العربي - جامعة بغداد.

اولا- المرحلة المكية:

تعد المدة الواقعة بين مبعث النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) في سنة (٦١٠م) وبين انتقاله الى الرفيق الاعلى سنة (١١هـ/ ٦٣٢م) من اخطر مراحل التاريخ في العلاقات الاسلامية – البيزنطية من حيث المواجهات التي دارت رحاها بين الطرفين ومن حيث توجيه دفة الصراع بين الطرفين دام اكثر من ثمانية قرون وعلى ما يبدو فأن فهم اية مرحلة من مراحل التاريخ الطويل للصراع الاسلامي- البيزنطي او لطبيعة العلاقات الاسلامية البيزنطية لا يمكن فهمها بمعزل عن فهم صحيح لجذور تلك العلاقة وتطورها في عصر الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم).

ابتداءا لابد من الاشارة ايضا ان المرحلة المكية من حياة الدعوة الاسلامية كانت خالية تماما من كل تأثير عداء للروم ودولتهم للمواجهة ضدهم اذ ان الدعوة الاسلامية الناشئة في مكة ظلت تعيش طي الكتمان لثلاث سنوات وحين دخلت في مرحلة العلن جاء الامر الالهي للرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) بأن ينذر عشيرته المقربين ثم بدأت الدعوة تتسع وتكتسب مزيدا من الاتباع الاانهم ظلوا قليلون مما جعل البعض منهم يهاجر الى الحبشة خوفا من ان يخطفهم الناس في السنة الخامسة من البعثة الشريفة تحت ضغط الاذى وسيل من الاضطهاد على الرغم من ان الحبشة كانت دولة مسيحية وموالية لامبراطورية الروم فقد احسنت استقبالهم وفي الوقت نفسه فأن دولة الروم لم تتوجس خيفة من هولاء القلة الذين فروا من ديارهم ولجأوا الى دولة حليفة وقد كانت دولة الروم حينئذ تعيش محنة الغزو الفارسي المدمر الذي بدأ سنة (٦٠٣م) واستمر ما يقرب عشرينة عاما ولم يكن بمخيلتها ان تتعرض دولتهم لاي تهديد يكون مصدره شبه الجزيرة العربية.

ومما يلفت الانتباه ان المسلمين في المرحلة المكية من حياة الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم) كانوا يتعاطفون مع الروم كونهم اهل كتاب في حين تعاطف المشركون مع الفرس وقد روى لنا ذلك ابن عباس (رضي الله عنه) بقوله : (كان المسلمون يحبون ان يظهر الروم على الفرس لانهم اهل كتاب وكان المشركون يحبون ان تظهر الفرس على الروم لانهم اهل اوثان)<١>.

واشار القرآن الكريم الى ذلك في سورة الروم وهي من السور المكية: ((الم* غلبت الروم في ادنى الارض وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين لله الامر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم))<٢> ثم اظهر الله تعالى الروم على الفرس زمن الحديبية ففرح المؤمنون بظهور اهل الكتاب<٣>.

وعلى ما تقدم فأن الرؤية والاحساس اتجاه الروم كانت من قبل المسلمين نظرة استحسان وخير ولاسيما بعد صدق الاخبار القرآني فبعد هجرة الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم) الى المدينة (٦٢٢م) بدأ هرقل يشن حملات انتقامية ضد الفرس وقد توجت حملاته بالنصر الساحق في معركة نينوى في ديسمبر عام (٦٢٧م) فاطر على اثرها (قباذ شيرويه) امبراطور فارس قبول صلح مهين مع هرقل خضع فيه لكل الشروط التي فرضت عليه وذلك في سنة (٦٢٨م) وهي سنة الحديبية (٦هـ)<٤>.

ثانيا- بعد الهجرة حتى صلح الحديبية (١-٦هـ/ ٦٢٢-٦٢٨م):

حين هاجر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) الى المدينة كان عليه اداء عدد من المهام اولها توطيد قواعد الدولة الجديدة وترسيخ امنها وبناءها الداخلي من كيد المكيين وتربصهم فكان على المسلمين خلال هذه المدة ان يرصدوا كل مخططاتهم وان يجهضوا كل محاولاتهم لنسف بنيان الدولة الاسلامية وفعلا تطور الموقف بين الجانبين بعد الهجرة بقليل فأدى الى اخطر مواجهة بينهما في (بدر) وذلك في رمضان من العام الثاني للهجرة فكان الانتصار العظيم الذي حققه المسلمون في بدر ذو صدى كبير وواسع لا في شبه جزيرة العرب وحسب بل تعدى ذلك الى خارج حدودها ولاسيما اذما علمنا ان العلاقات التي تمتع بها القرشيون بمكة مع اقاليم الدولة البيزنطية وبالاخص اقليم الشام كانت قد تأثرت بفعل نتائج هذه المعركة <٥> اذ كانت تجارتهم تمر بالمدينة ذاهبة الى الشام وقادمة منه فبدأ المسلمون يتحكمون في تجارة اهل مكة مع بيزنطة وهذا ادى بالضرورة الى ان يتسامح الناس خارج شبه الجزيرة العربية بتلك القوة الجديدة التي ضربت قريشا في الصميم وان يضعوها في حسابهم وفق اعتبارات معينة ولعل الروم كانوا اول المهتمين بتلك القوة لانهم كانوا اكثر المتأثرين بها خارج شبه الجزيرة وبذلك خسر الحجازيون منطقة نفوذ تجاري لبيزنطة<٦> ثم جاءت نكسة المشركين في غزوة الخندق في شوال سنة (٥هـ) لتؤكد ان الدولة الاسلامية الناشئة في المدينة باتت تشكل قوة لا يستهان بها وان أعداءها يتعاملون مع خصم شديد المراس<٧> وان صدى تلك الاحداث كان له دوي عميق على مسامع الإمبراطورية البيزنطية بشكل خاص ولاسيما ان هناك قبائل تتركز بشكل مباشر وقريب بالقرب من الحدود البيزنطية تلك القبائل هي قبائل العرب المنتصرة والتي تتمتع بصلات وثيقة مع حلفائهم البيزنطيين فقد حاول عرب الشام ولاسيما في هذه المرحلة بالتحديد تضييق الخناق على دولة المدينة اذ نتج عن ذلك ان حدثت عدد من المناوشات بين المسلمين وعرب الشام <٨> ومن بين تلك المناوشات:

غزوة دومة الجندل <٩> (٥هـ/ ٦٢٦م):

تعد غوة دومة الجندل اولى غزوات رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ضد الروم<١٠> وسبب هذه الغزوة هو ما كان يتعرض له التجار بين الشام والمدينة من اذى على يد العرب المقيمين بدومة الجندل من قبيلة كلب (من قضاعة) ويطلق على هولاء التجار اسم (الضاغطة) وهم الانباط الذين كانوا يقدمون المدينة من الشام بالدقيق والزيت وبعض السلع الضرورية لمجتمع المدينة وقد كان يترأس الدومة انذاك هو أكيدر بن عبد الملك السكوني الكندي وكان يدين بالنصرانية وهو في طاعة هرقل.

تعد تجارة الشام بالنسبة للحجازيين احد شرايين الحياة الرئيسة ويضيف الواقدي ان عرب الشام احلاف البيزنطيين كانوا يريدون الزحف على المدينة ويرى البلاذري ان جمعا من غسان وقضاعة كانوا قد هموا بغزو الحجاز <١١> وعلى مايبدو ان الامر تعدى ان يكون مجرد قطع الطريق على تجار المدينة فحسب بل اصبح تهديدا فعليا تمثل بغزو قاعدة الدولة العربية الاسلامية وان المسلمين انفسهم احسوا ان وراء ذلك امر حتى قيل لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): (ان دنوت الى الشام كان ذلك مما يفزع قيصر)<١٢> وعلى الرغم من ان الاراء كانت قد تباينت حول اسباب غزو دومة الجندل فقد رأى البعض انها كانت استطلاع <١٣> في حين انه لايمكننا ان نستبعد ذلك فهي واحدة من الغايات الا

ان الامر المهم والغاية الاساسية من الغزوة هو تأكيد هيبة الدولة العربية الاسلامية وبيان مدى قوتها لقطع دابر اية محاولة عدوانية قد يقوم بها عرب الشام أحلاف البيزنطيين وهذا ما يبدو واضحا من خلال الغزوة نفسها وتطوراتها اذ خرج رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) من المدينة على رأس الف من اصحابه في ربيع الاول من السنة الخامسة للهجرة (٦٢٦م) متوجها الى دومة الجندل <١٤> وعلى ما يبدو فأن هذا العدد يُعد فريدا اذا ما استثنينا عدد الجيش الذي خرج به لمواجهة مشركي قريش في بدر الموعد سنة (٤هـ) وبعد معركة احد وكان عددهم الف وخمسمائة مقاتل ، فقد كان المسلمون يدركون خطورة التهديد الذي بدأت تظهر اثاره على الجبهة الشمالية بل الامر الاكثر اهمية من ذلك ان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ادرك ضرورة التعامل معه من منابعه وعلى ارضهم وحين تقدم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) الى جبهة الشام هرب اهلها وملكهم أكيدر بن عبد الملك ونزل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بجبهتهم فلم يجد بها احد فعاد الى المدينة مؤكدا هيبة دولته الاسلامية وقدرتها على التعامل الحاسم مع أي تهديد <١٥>.

سرية زيد بن حارثة الى حسمى <١٦> (٦هـ/ ٦٢٧م):

وجه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) زيد بن حارثة (رضي الله عنه) الى حسمى في جمادي الاخرة سنة (٦هـ/٦٢٧م) على رأس (٥٠٠) مقاتل من اصحابه <١٧> وكان سبب هذه السرية هو ما لاقاه الصحابي دحية بن خليفة الكلبي على يد رجال من جذام إذ كان دحية سفير رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) الى قيصر يحمل رسالة له تدعوه إلى الإسلام فأجازه قيصر بمال وكسوة وحين عودته مر بحسمى فلقيه اناس من جذام فقطعوا عليه الطريق واصابوا كل شيء كان معه فلمى وصل المدينة شكى ذلك لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) <١٨>، فكانت سرية زيد بن حارثة قد نجحت في حدود الغرض الذي ارسلت له وهو تأديب هولاء القوم من لخم وجذام اذ اشار البعض ان لخم وهم ابناء عمومة جذام كانوا قد اشتركوا في عملية قطع الطريق على دحية<١٩> فحقق زيد نصرا واصاب ما وجد وقتل فيهم فأوجع.

سرية عبد الرحمن بن عوف الى دومة الجندل (٦هـ/ ٦٢٧م):

تعد هذه السرية هي ثاني حملة اسلامية الى دومة الجندلفي حياة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وعلى ما يبدو من تطورات هذه السرية ان غرضها الرئيسي كان نشر الاسلام والدعوة له <٢٠> اذ ارسل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) عبد الرحمن بن عوف على رأس (٧٠٠) مقاتل الى دومة الجندل والتي كان يقطنها قوما من قبيلة كلب من قضاعة وكانوا على النصرانية شديدوا الكراهية للاسلام والكيد لاهله<٢١> ويبدو ان سبب اهتمام رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بهذه الجبهة هو هذا العداء للاسلام واهله وتأمين هذه الجبهة شيء مهم بالنسبة للمؤمنين <٢٢>، فقد امر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) الصحابي عبد الرحمن بن عوف بأن يدعو اهلها الى الاسلام فسار بها عبد الرحمن ابن عوف يدعوهم الى الاسلام ثلاثة ايام وقد كانوا ابوا الا السيف <٢٣> الا ان اليوم الثالث غير مجرى الاحداث على غير شاكلتها فقد اسلم زعيمهم (الاصبغ بن عمرو الكلبي) وكان نصرانيا فكتب عبد الرحمن بذلك الى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فأمره رسول الله (صلى الله عليه وآله

وسلم) بأن يتزوج (تماضر بنت الاصبغ) ففعل فهي ام ولده ابي سلمة وقد اسلم الاصبغ مع اناس من كلب واذعن آخرين بأداء الجزية <٢٤>.

وبناءا على ما تقدم فأن سرية عبد الرحمن بن عوف الى دومة الجندل حققت اهدافها والغرض الذي ارسلت له وان ما شملت عليه هذه السرية من عدد كبير كان الغرض منه على ما يبدو هو لحماية الدعاة المسلمين وان المنطقة نفسها حافلة بالمخاطر ولاسيما نحن لاحظنا انه تعرض حين عرض الاسلام في البداية الى الرفض ومن ثم التحد السافر بالسيف من اهل دومة الجندل وليس من منهج الدعوة الاسلامية ارغام احد على اعتناق الاسلام ولكن المبدأ الاسلامي ان من لا يقبل الاسلام لا يصح ان يكون حربا عليه او يضع العراقيل امامه ولذلك جاء مبدأ الحرية لمن يرفض الاسلام فاستطاع عبد الرحمن بن عوف بهذا الامر ان يحقق اهداف السرية وينفذ اوامر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) اما فيما يخص زواج عبد الرحمن من ابنة زعيم قبيلة كلب تماضر بنت الاصبغ فأن الغاية الكبرى في ذلك هو لتقوية روابط التأخي في المجتمع الاسلامي.

العلاقة بالبيزنطيين من صلح الحديبية حتى سرية مؤته

(٦هـ/ ٦٢٨م – ٨هـ/ ٦٢٩م):

حين عقد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) صلح الحديبية مع مشركي قريش في ذي القعدة من السنة السادسة للهجرة (مارس ٦٢٨م)<٢٥> وكان من بنود الصلح ان تتوقف الحرب بين قريش والمسلمين عشر سنين، وقد نقضت قريش هذا الصلح بعد اقل من عامين حين اعانت حلفاءها من قبيلة بني بكر على خزاعة حلفاء المسلمين فترتب على ذلك فتح مكة وانطواءها تحت راية الاسلام سنة (٨هـ/ ٦٢٩م)<٢٦> فأن هذا الصلح كان قد اتاح للرسول الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم) الفرصة لتوسيع نطاق الدعوة الاسلامية لتشق طريقها بعيدا عن كيد قريش ودسائسها ونقل الدعوة الى داخل الجزيرة العربية والى العالم كله – عالمية الدعوة الاسلامية<٢٧>- اذ قام في مدة الهدنة بالاتصال بملوك الشرق الاوسط وامرائه ودعوتهم الى الدخول في الاسلام عن طريق رسائل خاصة يدعوهم فيها للاسلام يبعثها بيد سفراء مكلفين لهذا الغرض وبذلك الصلح فقد تحققت غايتان للدين الاسلامي وعلى امد بعيد، الاول: سياسة داعية الى الاعتراف بالدولة العربية الاسلامية ، الاخرى: الدعوة التي تجعل هذا الدين يتصف بالعالمية اذ ان جميع فحوى الرسائل التي ارسلها الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) كانت صريحة وتحمل نصا واحد الدعوة الى الاسلام من دون خفاء <٢٨> وحين بدأ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بارسال كتبه الى ملوك وامراء العالم يدعوهم فيها الى الاسلام ارسل الى هرقل والمقوقس وامراء غسان كتبا يدعوهم فيها ايضا الى الاسلام وذلك في ذي الحجة من السنة السادسة <٢٩> او اوائل محرم من السنة السابعة<٣٠> وهو اصح

التواريخ الذي يستقيم مع المنطق التاريخي والذي يعنينا من هذا وذاك الكتب التي ارسلت الى هرقل <٣١> والمقوقس حاكم مصر نيابة عن هرقل- وامراء الغساسنة بالشام فقد ارسل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) الصحابي الجليل دحية بن خليفة الكلبي(*) يحمل كتابه الى هرقل وامره ان يدفعه الى عظيم بصرى(**) ليدفعه الى هرقل وهذا نص الكتاب: (من محمد رسول الله الى هرقل عظيم الروم سلام على من اتبع الهدى اما بعد فأني ادعوك بدعاية الاسلام اسلم تسلم يؤتك الله اجرك مرتين فأن توليت فأن عليك اثم الاريسين(***) يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم الا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا اربابا من دون الله فأن تولوا فقولوا اشهد بأننا مسلمون)(****) وعلى ما يبدو من سير الاحداث التاريخية فأن قيصر كان قد استقبل السفير النبوي واحسن وفادته واكرمه وعاد السفير النبوي وهو يحمل هديا من هرقل <٣٢> كما ارسل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) الصحابي حاطب بن ابي بلتعة الى المقوقس يحمل نفس مضمونت رسالة هرقل فاستقبله واحسن معاملته واكرمه وارسل معه كسوة وبغلة بسرجها وجاريتين<٣٣> ولم يكن المقوقس اقل سياسة من هرقل في استقباله لمبعوث النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) والملاحظ هنا ان الغساسنة وامراءهم لم يحسنوا استقبال سفراء النبي اذ اشارت الروايات التاريخية ان المشكلة الاكثر تعقيدا تتمثل في سفارة الحارث بن عمير الازدي فمعظم المصادر التاريخية<٣٤> تشير الى ان الحارث بن عمير الازدي حينما نزل مؤته – عرض له شرحبيل بن عمرو الغساني فسأله عن مهمته فأجابه انه من سفراء رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وانه يحمل رسالة نبوية الى ملك بصرى فأوثقه ثم قتله<٣٥> وكان هذا من بين اسباب غزوة مؤته وقد لامهم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) على غدرهم وقتلهم الرسل واخبرهم بأنهم مغلوبون وسيعلو سلطان الاسلام عليهم فأغضب ذلك ملوك الروم ونصارى العرب وارسلت نصارى العرب الى ملك الروم بأن ينتهز الفرصة لضرب النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) والاسلام ماداموا في ضعف <٣٦> اما سفارة شجاع بن وهب الاسدي <٣٧> الى الحارث بن ابي شمر الغساني الذي كان اميرا بدمشق من جهة قيصر فأنها ايضا كانت محفوفة ببعض المخاطر وكانت نتائجها غير طيبة اذ اشار الكتاب النبوي الذي حمله شجاع بن وهب: (بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى الحارث ابن شمر الغساني سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله فأني ادعوك الى ان تؤمن بالله وحده لا شريك له يبقى ملكك، وختم الكتاب)<٣٨>وحين قرأه رمى به وقال: (من ينزع مني ملكي؟ انا سائر اليه ولو كان في اليمن جئته) ثم امر الحارث بتهيئة جيشه وخيله للخروج الى الحجاز لمقاتلة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ثم قام بمراسلة هرقل ليخبره الخبر فأجابه بعدم السير وان يلهوا عنه<٣٩> ولعل من المفيد ان نذكر ان سبب اتخاذ الحارث مثل هذا الامر هي محاولة منه تظاهر بها لكسب ود هرقل .

وبناءا على ما تقدم فأننا يمكننا ان نحمل بعض الامور التي تبين لنا الى أي مدى كانت علاقة المسلمين بالروم من خلال سير أحداث الدعوة فحتى وقت قريب فأن الروم ظلوا محافظين على علاقتهم بالمسلمين ولم يتخذوا أي موقف عدائي ازاء الدعوة الاسلامية وازاء الرسائل النبوية اذ كان رد فعلهم طيبا بعيد عن العدوانية فقد احسن هرقل والمقوقس استقبال مبعوثي الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ولم يصدر منهم أي اذى او تهديد ومن هنا لم يجد المسلمين أي مبررا في ذلك الوقت لان يصطدموا بهرقل ونائبه

المقوقس. اما الغساسنة فقد كانوا عدوانيين في استبالهم لكتب الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وهو الحارث ابن عمير الازدي عندما كان في طريقه الى حاكم بصرى ولاشك ان قتل السفراء يعتبر انتهاكا لكل الاعراف والقوانين بل هو نوع من انواع اعلان الحرب كما ان الحارث بن شمر الغساني حاكم دمشق اساء استقبال المبعوث النبوي وامر بالخيل ان تنعل اي انه هدد بالزحف لمقاتلة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم).

وقد لاتتجاوز الحقيقة اذا قلنا ان الغساسنة – عرب الشام بصفة عامة – كانوا هم المسؤولين في المقام الاول عن اشعال الشرار الاولى في اتون ذلك الصراع الطويل بين المسلمين والبيزنطيين وبعد ان مضى على تلك الحادثة ما يزيد قليلا عن العام حدث امر أخر جعل المسلمين يتيقنون ان عرب الشام قد اسقطوا من حسابهم مبدأ التعايش السلمي مع الدولة الاسلامية واختاروا اسلوب المواجهة المسلحة ففي شهر ربيع الاول من السنة الثامنة للهجرة (يوليو ٦٢٩م) <٤٠> بعث رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) كعب بن عمير الغفاري في خمسة عشر رجلا الى موضع يقال له (ذات اطلاح) بارض الشام <٤١> للدعوة الى الاسلام، فخرجت عليهم قضاعة بجموعها وهم في هذا العدد القليل فاحاطوا بهم وقاتلوهم فدافع المسلمون عن انفسهم دفاعا مستميتا ولكن هذه المعركة غير المتكافئة قد اسفرت عن استشهادهم جميعا الا واحد افلت بجراحه وتحامل حتى قدم على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فاخبره الخبر وقد شق ذلك على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ولكنه لم يستطع ان يثأر لاصحابه من قضاعة في ذلك الوقت اذ علم انها تركت موضعها الى موضع آخر <٤٢> ومن الواضح ان بعثة كعب بن عمير هذه قد درجت في مصادرنا تحت سرايا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ولم تكن سرية للقتال بل كانت بعثة للدعوة فمن العسير ان نتصور ان فريقا من خمسة عشر رجلا يمكنهم ان يذهبوا الى ارض تحوي جموعا كثيرة بهدف القتال ، واذا كان الهدف من سرية ذات اطلاح – كما سلفنا – هو الدعوة فمن الصعب في ضوء ذلك ان نقبل ما ذهب به مونتغمري وات وهو يعلق على هذه السرية: (اننا لا نعلم ما هي المهمة التي اناطها محمد بكعب الغفاري وصحبه الاربعة عشر عندما ارسلهم الى حدود الشام.... ولكننا مع ذلك نكاد نجزم انهم لم يكونوا مجرد غزاة بل كانوا منفذين لجزء من خطة بعيدة المدى) <٤٣> ولكن هذه الخطة البعيدة المدى لم تكن في رأينا الا لنشر الاسلام بين عرب الشام. ولم يمضي شهران على بعثة كعب بن عمير الغفاري الى ذات اطلاح حتى حدثت اخطر مواجهة بين المسلمين والبيزنطيين في مؤته .

الاستنتاج:

١- من سير الاحداث التاريخية للدعوة الاسلامية ولاسيما خلال السنين الاربعة من هجرة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) الى المدينة لم يولي الروم وحلفائهم من عرب الشام اي اهتمام عملي يذكر على الرغم من ان انتصار المسلمين على قريش في بدر الكبرى قد اثار انظار القوى الخارجية الى تلك القوى الوليدة الا ان ذلك لم يثر اهتمام الروم بالمسلمين .

٢- حين اصبح للدولة العربية الاسلامية شأن وذات مؤكدة واصبحت واقعا لا يمكن انكاره او تجاهله حول عرب الشام من احلاف الروم استخدام سلاح الحرب الاقتصادية ضد المدينة حينما تعرضوا لتجار الانباط الذين كانوا يتجارون مع المدينة وهم يحملون لهم سلع العيش الضرورية كالدقيق والزيت وغير ذلك

وقد رد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بشن اول حملة اسلامية ضد بلاد الشام في سنة (٥هـ) وهي المعروفة بغزوة دومة الجندل والتي تعتبرها مصادرنا التاريخية اولى غزوات الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ضد الروم ولاشك في ان ذلك دلالة على ان المسلمين لم يكونوا يفصلون بين عرب الشام واسيادهم البيزنطيين اذ كانت تربطهم رابطة العداء للاسلام ٠

٣- بعد ان حقق الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) انتصاراته الكبرى على المشركين ولاسيما بدر الكبرى والخندق وتشتيت شمل الاحزاب فيما بدأ يوجه بعوثه الى عرب الشام بهدف الدعوة للاسلام وليس الحرب فقد كانت سرية عبد الرحمن بن عوف اول نصر للدعوة الاسلامية في هذه الجبهة عندما اسلم على يديه عدد كبير من قبيلة كلب بدومة الجندل وقد عزز ذلك الامر الى التصاهر الذي عده رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) امرا مهما في مثل هذه الحالات ٠

٤- اختلفت هذه المرحلة عن المراحل اللاحقة في انها لم تكن فيها مواجهات مباشرة بين المسلمين والروم بل كانت المواجهات بين المسلمين وعرب الشام من لخم وجذام وكلب.

قائمة الهوامش:

- القرآن الكريم ٠

١- ابن عساكر: الحافظ ابو القاسم علي بن الحسن (ت ٥١هـ)، تاريخ مدينة دمشق، تحقيق: صلاح الدين المنجد، دمشق ١٩٥١م، ٣٥٧/١ ٠

٢- سورة الروم ، اية (١-٥) ، الطبري: محمد بن جرير (ت٣١٠هـ)، جامع البيان عن تأويل القرآن ، دار الفكر ، بيروت ١٤٠٥هـ، ١١/٢١ ٠

٣- ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ٣٥٦/١ ٠

٤- للمزيد ينظر: الطبري، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ، دار المعارف، القاهرة ١٩٧٩م، ١٢٥/٢ ٠

٥- ابن سعد: محمد بن وضيع البصري (ت٢٣٠هـ)، الطبقات الكبرى، دار صادر، بيروت ١٩٥٨م، ٦٧/٢ ٠

٦- ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ٣٥٦/١ ٠

٧- السيد الباز العريني، الدولة البيزنطية، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت ١٩٨٢م، ١٢٧ ٠

٨- اومان، ش، الامبراطورية البيزنطية، تعريب الدكتور تمام حسان، مكتبة الانجلو- مصرية ، القاهرة ١٩٥٧م، ١٠٧-١٠٨ ٠

٩- دومة الجندل: حصن وقرى بين الشام والمدينة قرب جبل طي كانت به بنو كنانة من كلب ، ينظر ياقوت الحموي: ابو عبد الله شهاب الدين (ت٦٢٦هـ) ، معجم البلدان، دار صادر، بيروت ١٩٧٩، ٤٨٧/٢-٤٨٨ ٠

١٠- المسعودي: ابو الحسن علي بن الحسين (ت٣٦هـ)، التنبيه والاشراف، تحقيق عبد الله اسماعيل الصاوي، المكتبة العصرية، بغداد ١٩٨٣م، ٢١٤ ٠

١١- ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ٤١٣/١.

١٢- الواقدي، المغازي، ٤٠٣/١، ابن سعد، الطبقات، ٦٢/٢ ٠

١٣- مونتغمري وات، محمد في المدينة، اكسفورد ١٩٥٢م، ١١٤-١١٥ ٠

١٤- البلاذري، انساب الاشراف، ٣٤١/١، الواقدي، المغازي، ٤٠٣/١، ابن سعد، الطبقات الكبرى، ٢٦٢، ابن قيم الجوزية: شمس الدين ابي عبد الله محمد بن ابي بكر(ت٧٥١هـ)، زاد المعاد في هدي خير العباد ، راجعه وقدمه له طه عبد الرؤوف طه، مطبعة المصطفى البابي الحلبي واولاده، القاهرة ١٩٧٠م، ١١٢/٢ ٠

١٥- ابن سعد ، الطبقات الكبرى، ٦٢/٢ ٠

١٦- حسمى: ارض ببادية الشام باقليم الاردن على مشارف الحجاز يصفها ياقوت بانها (ارض غليظة وماؤها كذلك لاخير فيها) وهي موطن قبيلة جذام لذلك كانت تعرف بـ (ارض جذام) ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ١١٢/٢ ٠

١٧- البلاذري: ابو الحسن احمد يحيى بن جابر (ت٢٧٩هـ)، انساب الاشراف، تحقيق محمد حميد الله ، دار المعارف، القاهرة ١٩٨٧م، ٣٧٧/١ ٠

١٨- الواقدي، المغازي، الذهبي: محمد بن احمد عثمان (ت٧٤٨هـ)، تاريخ الاسلام، تحقيق د.عمر عبد السلام تدمري، ط٢ ، دار الكتاب العربي، ١٤٠١هـ/١٩٩٠م، ١٨٤/١ ٠

١٩- البلاذري، انساب الاشراف، ٣٧٧/١ ٠

٢٠- الواقدي، المغازي، ٥٦١/٢ ٠

٢١- ابن سعد، الطبقات الكبرى، ٨٩/٢ ٠

22- D. sourdel, dumat al- djandal in the encyclopedia of islam , new Edition vol.11, pp625.

٢٣- الواقدي، المغازي، ٥٦١/٢ ٠

٢٤- ابن سعد، الطبقات الكبرى، ٨٩/٢ ٠

٢٥- لوقدي : محمد بن عمر بن واقد (ت٢٠٧هـ)، كتاب المغازي، تحقيق مارسدن جونسن، عالم الكتب، بيروت لا.ت، ٥٧٢/٢ ٠

٢٦- ابن هشام : ابو محمد بن عبد الملك (ت٢١٣هـ)، السيرة النبوية ، ط٢، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي لحلبي واولاده، القاهرة ١٩٥٥م، ٣٢٢/٣ ٠

٢٧- الغزالي: محمد ، فقه السيرة، تخريج محمد ظدر لالا باني، منشورات عالم المعرفة، لا.ت ، ٣٦٣ ٠

٢٨- العلاق: علاء ابو الحسن اسماعيل ، السفارة والوفادة في الدولة العربية الاسلامية حتى نهاية العصر الراشدي، اطروحة دكتوراه غير منشورة مقدمة الى مجلس كلية التربية ابن رشد / جامعة بغداد ٢٠٠٣م، ١١٣-١١٤ ٠

٢٩- البلاذري ، فتوح البلدان ، مراجعة وتعليق رضوان محمد رضوان، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩١م، ٩٧ ٠

٣٠- ابن سعد، الطبقات الكبرى، ٢٥٨/١ ٠

٣١- خليفة بن خياط العصفري (ت٢٤٠هـ)، تاريخ خليفة، تحقيق د٠اكرم ضياء العمري، مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان لا٠ت، ١٤٠/٤١ ٠

(*) دحية بن خليفة بن فضالة بن زيد بن امرؤ القيس بن الخزرج اسلم قبل بدر ولم يشهدها وكان جميلا يضرب به المثل في حسن الصورة، ابن حزم الاندلسي: ابن محمد بن علي بن احمد بن سعيد (ت٤٥٦هـ)، جمهرة انساب العرب، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار المعارف، القاهرة ١٩٦٢م٠

(**) بصرى: بالشام من اعمال دمشق وهي قصبة كورة مشهورة عند العرب قديما وحديثا، ياقوت الحموي، معجم البلدان٠

(***) الاريسيين: الاكاريين ، الفلاحين، الزمخشري: ابو القاسم جار الله محمود بن عمر (ت٥٣٨هـ)، الفائق في غريب الحديث، تحقيق علي محمد الباجوري، محمد ابو الفضل ابراهيم، ط٢، دار المعرفة، بيروت – لبنان لا٠ت، ٣٦/١ ٠

(****) سورة آل عمران، اية (٦٤)٠

٣٢- الطبري، تاريخ، ٦٠٢/٤، ابن الاثير، الكامل، ٤٩٤/٢ ٠

٣٣- الشيباني: احمد بن عمرو بن الضحاك (ت٢٨٧هـ)، الاحاد والمثاني، تحقيق د٠ باسم فيصل احمد الجوابرة، ط١، دار الراية، الرياض ١٤١١هـ/١٩٩١، ٤٤٦/١ ٠

٣٤- ابن سعد، الطبقات، ٢٦١/١، الكلاعي: ابن ربيع سليمان ابن يوسف الاندلسي (ت٦٤٣هـ)، الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله والثلاثة الخلفاء، تحقيق محمد كمال الدين، عز الدين علي، عالم الكتب، بيروت ١٩٧٢م، ٤٠٦/٢، ابن طولون: شمس الدين محمد بن علي الدمشقي، اعلام السائلين عن كتب سيد المرسلين، مطبعة الترقي ، دمشق ١٣٤٨هـ، ٣٢ .

٣٥- الواقدي، المغازي، ٧٥٥/٢، ابن حديده: ابو عبد الله محمد بن علي ابن احمد (ت٧٨٣هـ)، المصباح المضيء في كتاب النبي الامي ورسله الى ملوك الارض من عربي واعجمي، ط١، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية ، حيدر آباد – الدكن ١٩٧٦م، ٢٥٩/١ .

٣٦- الهمذاني: عبد الجبار بن احمد (ت٤١٥هـ)، تثبيت دلائل النبوة، تحقيق الدكتور عبد الكريم عثمان ، الدار العربية للطباعة والنشر، بيروت لا.ت، ٤٤٠/٢ .

٣٧- شجاع بن وهب بن ربيعة بن اسد بن صهيب بن مالك بن خزيمة الاسدي حليف لبني عبد شمس اسلم قديما وهاجر الى الحبشة في الهجرة الثانية يكنى ابو وهب وكان رجلا نحيفا واستشهد يوم اليمامة (١٢هـ)، ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ٩٤/٣، خليفة بن خياط، تاريخ، ١١١/١، ابن الاثير: ابو الحسن عز الدين على بن الكرم الشيباني (ت٦٣٠هـ) ، اسد الغابة في معرفة الصحابة، طهران ١٣٧٧هـ ، ٥٠٤/٢ .

٣٨- الطبري، تاريخ، ٢٤٦/٢-٢٤٧، ابن كثير: اسماعيل بن عمر ابن كثير الدمشقي (ت٧٧٤هـ)، البداية والنهاية، مطبعة الفجالة، مصر – القاهرة لا.ت، ٢٦٣/٤ .

٣٩- ابن سعد، الطبقات، ٢٦١/١ ، الحلبي: علي بن برهان الدين (ت١٠٤٤هـ)، السيرة الحلبية في سيرة الامين والمأمون ، دار المعرفة، بيروت ١٤٠٠هـ، ٣٠٤ .

٤٠- البلاذري، انساب الاشراف، ٣٨/١٢، الواقدي، المغازي، ٧٥٢/٢، ابن سعد، الطبقات، ١٢٧/٢ .

٤١- تقع ذات اطلاح وراء وادي القرى بين تبوك واذرعات من بلاد دمشق من ارض الشام، السعودي: ابو الحسن علي بن الحسين (ت٣٤٦هـ)، التنبيه والاشراف، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة ١٩٤٨م، ٢٣٠ ٠

٤٢- الواقدي، المغازي، ٣٥٢/٢-٣٥٧ ، خليفة ، تاريخ، ٤١/١ ٠

43- Watt (w.m): Muhammad at Medina , Oxford, 1959 ,pp.53

Relation of the Prophet Muhammad (May Peace be Upon Him) with the Byzantines from the Revelation to the Trance of the Mu'ta (8 A.H. / 629 A.D)

Dr. Alaa Abo Al-Hassan Ismail Al-Alaak
Center of Revival of Arabian Science Heritage – Baghdad University

Summary

Relations of the prophets Muhammad (May peace be upon him) with by gantlines from the revelation to the trance of al-hdybya 6 A.H/610 A.C.

This research is concerned with Islamic historical events, particularly dunning the time of the prophet Muhammad. It also explores relations of the apostle of god with the rums and their allies the Arabs of Syria.

During the first years of revelation Muslim had achieved great victories against the unbelievers. This accomplishm-ent had draw attention of some foreign forces such as the Arabs of Syria, who became snapicions of this new and active power. Their hostile attend was demonstrated by striking an economical siege against Muslims. They attacked the nabtins merchants whom used to provide the people of medina with their daily hiving like oil and flour, in the fifth year of al-hijra Muslim expedition had undertaken against the Arabs of Syria, which was known as Dwamat ol-Iandal. Islamic historical sources have conidial it to be the first expedition of Muhammad against the Rums.

Actually this period is quite different from coming years because struggle in early stages was, in fact, between Muslims and Arab of Syria (Iakham, iutham and Kalb tribes) while in hirer period Islamic tropes had to face the roman forces them selves.

Accordingly, Success in Dimwit of. Iandal was tremendously fruitful and effective at the same him exactly as prophet had planed. His main goal was to string then a brotherly relation among Muslim society, a view that had a long strategic distance and was to be the first brick in establishing the glorious state of Islam.

Finally, interest of the Apostle of god in northern tribes had continued even after conquering Mecca.

Many records mentioned that Muhammad (May peace be upon him) had an-expedition headed by zayad b.usam, before his death.